

## تداعيات المرض في الأمثال الشعبية الجزائرية

### The repercussions of the disease in the algerian folk proverbs

موسى إسماعيل شماخي (ismailchemakhi88@gmail.com)

( جامعة البليدة 02 علي لونيبي

عبد القادر عنصر (kadi2020641@gmail.com) جامعة

البليدة 02 علي لونيبي

سميرة بداوي (Badaoui.samira.02@gmail.com) جامعة

ابن خلدون تيارت

#### الملخص :

يحمل موروثنا الشعبي الجزائري بين طياته زخما وزحما من القيم المحددة والموجهة والضابطة لسلوكات الأفراد ، فهو خليط من المعتقد الديني ، وما تعارف عليه الناس ، وما ورثوه عن آبائهم وأجدادهم ، ويترواح هذا الموروث بين الغث والسمين ، في مجال تركزه في نظام الإتصال الإجتماعي العام.

وقد اهتمت في هذا البحث البسيط بموروثنا الشعبي في شطره "الأمثال الشعبية" ، لأنه ولطالما لعبت هاته الأخيرة دورا هاما في علاقات الأفراد ببعضهم بعض ، منذ عصر سلفنا القدماء ، وصولا إلى جيلنا الحالي ، ولا بد من أن يتأثر موضوع المرض كنسق جزئي ، بموروثنا الشعبي كنسق عام أخصها في ثلاث تفاعلات هامة :

- علاقة الجزائري مع نفسه .

- علاقته الجزائري مع ربه .

- علاقة الجزائري بالآخرين .

#### Abstract:

Our popular heritage of Algeria carries with it the momentum and zeal of the specific values that guide and control the behavior of individuals. it is a mixture of religious belief, what

people know, and what they inherited from their parents and grandparents.

I have been interested in this simple research of our popular heritage in the section "popular proverbs", because these have always played an important role in the relations of individuals with each other, from the era of our ancestors, up to our current generation, and must be affected the subject of disease as a partial format, within the general format summarized in three important interactions:

- Algerian individual and his relationship with himself.
- The Algerian individual and his relationship with his Lord.
- Algerian individual and his relationship with others.

#### 1- مقدمة:

لا يمكن وضع المرض في قالب مغلق ، بعيدا عن عوامل ومؤثرات محيطية ، فالمرض له مسبباته وعوامله التي يتأثر بها ويؤثر بها على النفس الإنسانية المصابة ، وكذا الأشخاص المحيطين.

إن المرض موضوع أنثروبولوجي بامتياز ، تشهد عليه الأمثال والحكم والموروث الشفهي المتداول في مجتمعنا الجزائري للتداوي والوقاية ، ورغم

التطور الحاصل في قطاع الصحة في بلدان العالم المتطورة ، إلا أنها لم تتخلى على طرق التداوي التقليدية كالوخز بالإبر في الصين ، واليوغا في الهند ، والتنويم المغناطيسي ... وغيرها من أساليب التداوي الأصيلة.

إن المريض في الجزائر ومهما كان نوع مرضه ، لا يلجؤ إلى وسائل الطب الحديثة فحسب ، بل يتداوى بالطب التقليدي ، طلبا للشفاء ، يؤكد المثل الشهير "يلا ما قتل يسمن" ، وطلبا للبركة ، ففي عديد المناطق حيث يتواجد الحمامات المعدنية أذكر منها على سبيل المثال لا الحصر ، "حمام ريفة" بعين الدفلى ، ورغم وجود الحمام المعدني بالفندق حيث الخدمات ترقى للمستوى ، إلا أن الكثيرين يفضلون الحمام القديم واصفينه بحمام "البركة" ، وهو دليل واضح على العلاقة الوثيدة بين نفسية المريض وموروثه المادي واللامادي.

## 2- تحديد المفاهيم:

### 2-1- الثقافة الشعبية:

إن الثقافة الشعبية هي تلك الرموز والعادات والأعراف والمعتقدات التي تقوم بوظيفة إجتماعية بالتفاعل مع الظواهر وفق سياق أنثروبولوجي ، ولا يمكن أن تؤدي وظيفتها على أكمل وجه إلا إذا تكاملت في أبعادها الثلاث:

- العمل الثقافي العام: والذي يتجسد في شرائح الطبقة الوسطى حين تناولها وإستلهاها لثقافتها الشعبية.

- العمل الدراسي الجامعي: وذلك بجمع مكونات الثقافة ورصيدها ودراستها ، وفهمها للثقافة الشعبية.

- العمل المؤسسي: من خلال أجهزة الدولة باعتبارها مالكة أدوات العمل الثقافي ومنتجاته والقادرة على توسيعه (حواس ، 2005 ، ص 17).

## 2-2- الأمثال الشعبية:

الأمثال الشعبية إرث أدبي شعبي جدير بالتقدير والإعتراف في الحياة الاجتماعية ، الأدبية ، الفنية ، والثقافية ككل ، لم لها من تأثير كبير على النفسانيات ، من خلال دورها الإصلاحي والتصحيحي لسلوك الأفراد ، فقد تحقق ما تعجز عن تحقيقه النظريات العلمية والفكرية (داوون ، 2000 ، ص 5-6).

إن الأمثال الشعبية ذلك التنسيق اللغوي الشفهي المنقول إلينا من جيل الأجداد ، تحمل رائحة الماضي باختلاف معانيها وتراوحها بين الغث والسمين ، إلا أنها تؤدي دورها في تحديد وتعديل العلاقات الاجتماعية ، إذا ما عرف ساردنا اختيار الوقت والمكان (الظرف) اللازمين لسردها ، وبالتالي فهي ذات علاقة وطيدة بحنكة السارد (القائل) ، وأي خلل ناجم عن هاته العلاقة ، يشوب لا محالة بتأثيرها في الجماعة المحيطة (المنصنة) (بوتارن ، 1987 ، ص 4).

## 3-2- المرض:

إن المرض عبارة عن إختلال في التوازن الطبيعي يتوجب إصلاحه ، من وجهة نظر الطب الغربي العقلاني الذي تعود جذوره لأبقراط اليوناني الذي ركز على دراسة مزاج الأشخاص ليميز بين الخيرين والأشرار ، لقد تطابق الأمر ذاته في بلاد الصين من خلال مصطلحي "ين" و"يانغ" المتميزان ، وفي مجتمعات أمريكا اللاتينية وإفريقيا حيث يصيغونها بمصطلحي الحار والبارد اللذان يتوجب تحقيق التوازن بينهما تجنباً للمرض الذي يحدث بإختلال التوازن.

كل ما سبق ذكره كان حجر أساس للتوجه الفكري القاضي بعدم النظر إلى المرض في شقه النفسي بل كإفساد عن البيئة الاجتماعية ، بسبب الافتراض الوظيفي في جسم الإنسان عبر فترة قصيرة أو متوسطة أو طويلة ، تؤثر على تفاعله الاجتماعي (زرقة ، 2018 ، ص 144).

## 3- تامل الأمثال الشعبية الجزائرية في القرآن الكريم:

ضربت الأمثال الشعبية في القرآن الكريم بمثابة الوعظ والإرشاد ، وتذكير الناس بفعل الخير وترك الشر ، قال الله تعالى: ((فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (7) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (8))) (سورة الزلزلة ، الآية 7-8).

ويقابل هذا في معناه ، المثل الشعبي الشهير "دير الخير وانسأه ، ودير الشر وتفكره" ، وأيضا المثل الشعبي الآخر ، "يا دايير الخير حبة ، ويا دايير الشر ياسر ، مول الخير ينبي ، ومول الشر خاسر" ، وهو دليل على التجذر العقدي والعلاقة الرجعية للأمثال الشعبية الجزائرية ، إلى المصدر الرئيسي والمنبع الأم ، المتمثل في الشريعة الإسلامية الدينية.

وبالتالي فهي ضرورية في الحياة الاجتماعية ، لضبط سلوك الأفراد إلى ما يجلب المنفعة الخاصة فالعامة.

### 3- الأنثروبولوجيا الثقافية والذات الإنسانية:

إن دراسة الثقافة والشخصية والهوية ، تتكامل فيها العلوم الإنسانية الثلاث "علم النفس ، وعلم الاجتماع والأنثروبولوجيا" تكاملا كبيرا ، ولعل هذا ما حدا ببعض العلماء أن يجعلوا من الثقافة والشخصية ، والهوية ، فرعا جديدا من فروع أنثروبولوجيا الثقافة ، وكذا الأنثروبولوجيا النفسية ، ذلك أن الشخصية هي مجموعة من الدلالات التي تكشف عن طبيعة الأفراد في أي مجتمع من المجتمعات ، ولاشك أنها ذات طبيعة مرنة ومتغيرة وقابلة للتبدل بفعل العديد من العوامل الاجتماعية والتاريخية ، وتاريخ المجتمع هو المنبع الأول للمكونات الثقافية الشخصية القومية.

فالإنسان حين يولد يجد نفسه مضطرا للتكيف مع بيئات فيزيقية ، وأخرى اجتماعية وثقافية ، وعليه أن يعايشها ويتلاءم معها ، ولذلك يستند التفسير في تحليل الشخصية إلى تلك المكونات الثقافية على اعتبار أن البيئة الفيزيكية والاجتماعية والثقافية ، هي خصائص عامة يخضع لها سائر الأفراد في المجتمع ، وهي القضية الأولية أو المسألة الجوهرية في نظرية الثقافة والشخصية.

ولما كانت دراسة " الثقافة والشخصية والهوية ، تلتقي فيها الأنثروبولوجيا ، وعلم الاجتماع ، وعلم النفس ، فيبدو أن صعوبة كبيرة تعترض طريقها ، وتتمثل فيما يفرضه هذا الإتجاه الثقافي النفسي الجديد من ثنائية منهجية تطرح على الباحث تساؤلا لا مناص من تحديد الإجابة عليه ، وهو:

- هل تبدأ الدراسة من الثقافة ثم تنطلق إلى معرفة السمات الأساسية للشخصية القومية أو الوطنية المتأثرة بتلك الثقافة ؟ أم على العكس من ذلك أي تبدأ الدراسة بالشخصية أولا ثم تنتقل إلى معرفة السمات الثقافية التي تكون الشخصية المشتركة وتطبعها بطابعها الخاص ؟

هذا التساؤل السابق تساءله الأنثروبولوجي والباحث الاجتماعي الجزائري "أحمد بن نعمان" في كتابه "نفسية المجتمع الجزائري" (بن نعمان ، 1988 ، ص15)، وارتأى أن يحدد الباحث الاجتماعي والأنثروبولوجي منذ البداية، المدخل الذي ينطلق منه لدراسة الثقافة والشخصية، وهو الإنطلاق من الثقافة لفهم الشخصية وليس العكس، ذلك لأن الثقافة أعمق بعدا من أبعاد الشخصية، وفي هذا الإتجاه، يرى "كلوكهون kluhohn. C" أنه إذا توصلنا إلى معرفة أنماط الثقافة السائدة، فإننا نحقق بالضرورة كسبا كبيرا وتقدما معتبرا في معرفة الشخصية (Shinobu, 2005, p45).

يقول: "أحمد بن نعمان" "اتبعنا المنهج التحليلي لمضمون الأمثال الشعبية وذلك للأسباب التالية: (بن نعمان ، 1988 ، ص ص 155-165).

- إن الأدب الشعبي من أبرز مظاهر الثقافة في المجتمع وأهم سجل لها رغم حركتها وتغيرها المضطرد، وهو نابع من واقع البيئة التي يعيش فيها المجتمع، ومحموظ، "في الذاكرة الشعبية" بلغة المجتمع المدروس، وبالتالي فهو يحافظ على السمات الأساسية لشخصية المجتمع، رغم كل التغيرات التي تطرأ عليها نتيجة العوامل المختلفة التي يتعرض لها.

- للأدب الشعبي علاقة قوية بالنظام التربوي السائد في المجتمع، والذي بفضلها تنتقل الثقافة بكل مظاهرها المعنوية "كاللغة والدين وأنماط السلوك الخلفي وظواهر الفكر العليا بتصوراته ومقولاته.."، والمادية "كالتكنولوجيا والمعارف العلمية والمهارات اليدوية وكيفية المعيشة.."، من جيل إلى جيل.

- وللأدب الشعبي أيضا علاقة عضوية بلغة المجتمع المدروس، واللغة كما يؤكد

Malinowski. B "هي أهم الظواهر الثقافية باعتبارها خاصية إنسانية، ومن ثمة فهي مفتاح الثقافة في أي مجتمع، ومعرفة الباحث للغة الأدب الشعبي في الجزائر بلهجاتها المختلفة تجعله يتفادى الخطأ الشائع الذي يقع فيه الكثير من الأنثروبولوجيين الذين يعتمدون على المترجمين والشارحين، ذلك أن علم اللغة يثبت أن الكلمة ليست مجموعة من الحروف الجامدة والأصوات الجوفاء، وإنما هي كائن حي يحمل الكثير من المعاني، ولا يؤدي الإعتماد على الترجمة الحرفية إلى التوصل إلى مضامين الكلمات، وفحوى اللهجات المتداولة داخل الوطن، وخاصة البربرية أو الأمازيغية منها.

إذن ومما سبق ارتأيت أن أجمع بعضا من مادة الأدب الشعبي المتداول في مجتمعنا الجزائري، حول المرض والمريض، وإجراء الملاحظة على القيم

المتضمنة في الأدب الشعبي، وانعكاسها على أنماط السلوك المختلفة لأفراد المجتمع.

#### 4- تمثيلات المرض في الأمثال الشعبية الجزائرية:

##### 4-1- الوظيفة الوقائية للأمثال الشعبية:

تتعامل الأمثال الشعبية مع صحة الإنسان ككل فهي لا تنتظر إلى حين تعرض الشخص إلى الوعكات الصحية لتلقي بظلالها، بل تهيو له أرضية أدبية قيمة وقائية، "صاحبتني صبيحتي" وتذكير للجميع بأن أعلى شيء هو الصحة، "الصحة عدوة" فمن يفقد صحته فلا يجد من يغنيه عنها، وبالتالي فالحفاظ على سلامتها يتطلب الحرص الدائم على تجنب ما يضرها، فالإنسان متطلب بطبعه، تراه يسعى دوماً لتحقيق إشباع حاجياته المتنوعة على حساب راحته "ليبغاها قاع خلاها قاع".

يجب على الإنسان أن لا يتخلى على موروثة الثقافي في شقه المتمثل في الأمثال الشعبية، باعتبارها طب مجاني متنقل عبر الأزمنة من جيل الأجداد إلى الأبناء فالأحفاد، فهي هي تحته على ما توسل إليه الطب الحديث بأسلوب بسيط وغير مكلف "تغدى وتمدى تعشى وتمشى"، "الدفا عفى لو كان بعز الصيف"، "الدار اللي تدخلها الشمس ما يدخلهاش طبيب"، "هوى الخريف يسمم وهوى الربيع يسمن"، "اللي بدل هوى بيته لا يلزمه دوى"، "رقد بكري و نوض بكري وشوف الصحة كي تولى".

إن هاته الأمثال السابقة وكما أسلفنا تحثنا على إتباع سبل المحافظة على صحتنا، مراعية التوازن و الاعتدال فهي لما تحثنا على الاستفادة من حرارة الشمس فليس معناه أن نتعرض لها كل دقيقة وحين بل بلا إفراط ولا تفريط، "الاعتدال خير دوى"، فهي هو المثل الآتي يبين مدى خطورة الشمس "شمس الصيف قسى من برد الشتاء"، فالإنسان يجب أن يتراوح بين الحر والبرد، وبين الرطوبة والجفاف، وبين الجوع والشبع "نص البطن حسن من مليها في بطن الشبعان خسارة"، "قلل طعامك تحمد منامك"، إذن فالأمثال الشعبية هي في الدرجة الأولى ذات وظيفة وقائية للفرد، قبل أن تكون وظيفتها علاجية.

##### 4-2- الوظيفة العلاجية للأمثال الشعبية:

تتعامل الأمثال الشعبية مع الحالات المرضية بالحكمة والموعظة الحسنة، فهي تذكر المريض ومن حوله من أقربائه وذويه، بأن المرض سنة الله في خلقه "الدنيا دور والشدة ما تدوم"، "الجرح يبرأ وبصير ملموم"، "وجع ساعة ولا وجع كل ساعة"، "نسى الهم ينساك"، فهي بذلك تزرع روح

الأمل في نفسية المريض ومحيطه لأنها تعلم بأن المريض وأهله يحتاجون إلى من ينفس عنهم ويروحو عنهم ، ما يصطلح عليه بالعامية "يقلع عليهم" "ينحي عليهم" "يفاجي عليهم" ، فالمريض ليس وحده من يعاني من الألم والسهر والتعب ، بل أهله يعانون أيضا ما يعانيه "مقابل المريض هو المريض" ، وهو تذكير للجميع بمراعاة البعد النفسي الذي يخلفه المرض وسط العائلة ككل.

إذن وكما تقوم الأمثال الشعبية بوظيفة شحن الهمم وتحفيز الذات المريضة ، مشجعة إياها من أجل تجاوز المرض ، فهي تراعي درجات المرض وأنواعه من المستعصي إلى الأقل ، فكثيرا ما نجد أشخاصا غير صبورين تؤلمهم رؤوسهم فيقيمون الدنيا ويقعدونها ، في حين نجد أشخاصا يصابون بأمراض خطيرة شاكرين الله وحامدينه "اللي شاف الموت يرضى بالحمى" وبالتالي فالأمثال الشعبية لها وظيفة تربوية لا يمكن إغفالها فالمرض حتمية لا مفر منها رغم كل الإجراءات الوقائية ، فقط وجب الاستفادة من تجربتها "اللي ما ذاق المر ما يعرف قيمة الحلو" ، فالمريض لا يجب أن يتناسى بعد تعافيه ، التجربة التي مر عليها ، "وقت الضر هاتوا بونافع ووقت الشفا طيشوا الدرياس".

## 5- خاتمة:

إن الأمثال الشعبية موضوع جدير بالاهتمام ، وهي تتناول جميع المواضيع الاجتماعية ، ولقد ركزنا في دراستنا البسيطة هاته ، جانب تعاملها مع موضوع

المرض ، باعتباره نسق هام في الحياة الاجتماعية والإنسانية ككل ، فالشخص المريض لا يعني وحده الألم ، بل يشترك معه أقربائه وذويه وجيرانه.

إن الأمثال الشعبية تناولت في جزء هام منها المرض محاولة إيجاد سبل الوقاية ، ثم العلاج كوظيفتين أساسيتين ، وبالتالي فإننا نذكر الجميع بضرورة التمسك بهذا الإرث الشفهي ، باعتباره جزء من تراثنا الذي يميزنا عن الآخر المختلف.

#### 6- المراجع:

- إدريس داوون. (2000)، الأمثال الشعبية المغربية، مكتبة السلام الجديدة الدار البيضاء ، المغرب.
- بوتارن قادة ، (1987) ، الأمثال الشعبية الجزائرية ، ت. عبد الرحمان الحاج صالح ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، ط2.
- بن نعمان أحمد ، (1988) ، سمات الشخصية الجزائرية من منظور الأنثروبولوجيا النفسية ، المؤسسة الوطنية للكتاب ENAL ، الجزائر.
- زرقة دليلة. (2018) ، أنثروبولوجيا الصحة والمرض ، مجلة متون ، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية ، جامعة مولاي الطاهر ، سعيدة ، الجزائر ، ع1.
- عبد الحميد حواس. (2005) ، أوراق الثقافة الشعبية ، مركز البحوث العربية والإفريقية ، القاهرة ، مصر.
- Shinobu kitayama, Dov cohen, (2007), handbook of cultural psychology, the guilford press, new york, usa.